جامعات عربية في بلدان أجنبية

Arabic Universities abroad

خالد مصطفى Khaled Moustafa

محرر الأرشيف العربي العلمي Editor of Arabic Science Archive

Email: khaled.moustafa@arabixiv.org

التطور العلمي والمعرفة الإنسانية هما حصيلة تفاعل وتراكم الأفكار والجهود الإنسانية لكل البشر على مر العصور. والمؤسسات التعليمية على اختلاف مستوياتها، بدءاً من المراحل الابتدائية إلى الجامعة، هي جزء رئيس من دعائم ذلك التطور، اعتماداً على مناهج تعليمية جادة ومكملة لبعضها بعضاً، ومنبثقة عن حاجات المجتمع، بجهود معلمين أكفاء مُدرّبين تدريباً عالياً ومتواصلًا، بما يساهم في تعزيز قدرات الطلاب الذهنية والإبداعية، مع محاولة الربط الدائم بين النظرية والتطبيق، بين النقد البناء واحترام وجهات نظر الآخرين، والتمييز بين المصلحة العامة والخاصة، وتغليب الأولى على الثانية، وإنشاء معاهد أو جامعات عربية متطورة، والاستفادة من خبرات الدول التي قطعت أشواطاً طويلة في تلك المجالات. نحو هذه الغاية، أقترح إنشاء جامعات أو معاهد علمية عربية في دول متطورة علمياً وتقنياً على غرار الجامعات الغربية في بعض الدول العربية، مثلاً إنشاء جامعة بغداد في لندن للعلوم الطبية، أو جامعة دمشق في باريس للعلوم الزراعية وجامعة القاهرة في واشنطن لعلوم الحاسب، إلخ، بحيث يتم التدريس فيها بمناهج مترجمة إلى العربية من إحدى الجامعات المحلية في بريطانيا أو فرنسا أو أمريكا، على غرار الجامعة الأمريكية في بيروت أو الجامعة الأمريكية في القاهرة أو كثير من الجامعات الأمريكية في دول الخليج، التي تدرس مناهجها باللغة الإنكليزية في البلدان العربية. وهكذا، يمكن لمثل هذه الجامعات تزويد الطلاب العرب بالخبرة والمعرفة العلمية المحدثة باستمرار، وبلغتهم من حيث يتم إنتاج المعرفة والتطوير التقني والعلمي، مما قد يساهم في رفع المستوى العلمي في البلاد العربية.

يعاني العرب حالياً من تأخر كبير على المستوى العلمي والتقني، على الرغم من الإمكانيات المادية الكبيرة لمعظم الدول العربية، التي أغرّت وتُغري كثير من الجامعات العالمية لفتح فروع فيها، والفوز بعقود مالية

كبيرة ورسوم تعليم باهظة لا يقدر عليها إلا الأغنياء، وهو ما يجعل الهدف الرئيس لتلك المؤسسات هو الربح أكثر منه نشر العلم والمعرفة [1].

ولمواكبة التطور العلمي، لا بد من مراجعة متأنية لسياسات التعليم في المدارس والجامعات العربية، والاستفادة من خبرات الدول المتقدمة في تلك المجالات لإيجاد حلول مستدامة للمشاكل البيئية والطبية والتقنية، التي تعاني منها معظم الدول العربية.

وفي هذا الإطار، أقترح إنشاء جامعة، أو جامعات، أو معاهد عربية للعلوم في بعض الدول المتطورة على غرار الجامعات الغربية في البلاد العربية، بحيث تكون اللغة العربية لغة التدريس فيها بجانب لغة البلد المضيف، لمواكبة آخر المستجدات العلمية في الطب والعلوم وعلاج الأمراض والتقنيات الحديثة وترجمتها إلى العربية، بما يجعل ويبقى مناهج تلك الجامعات محدّثة باستمرار ومتزامنة مع ما يتم انتاجه وتعليمه في البلدان المتقدمة علمياً وتقنياً. ثم يمكن ابتعاث الطلاب العرب المتفوقين للدراسة في مثل هذه الجامعات، لمتابعة تعليمهم العالي والحصول على الخبرة والاطلاع على آخر التطورات العلمية والطبية بلغتهم الأم. ويمكن أن تُموّل مثل هذه المعاهد من خلال هيئة عليا أو مجلس وزاري عربي متخصص يقوم بدراسة وتقييم الحاجات العلمية والطبية العربية، والحصول على الموافقات والإجراءات الإدارية، ضمن إطار تعاون علمي وقانوني معترف به من قبل أعلى الهيئات الحكومية لجميع الأطراف المعنية في البلدان العربية والبلاد المستضيفة. ويمكن أيضاً الاقتصار على إنشاء معاهد أو فروع لجامعات عربية في الخارج للعلوم الطبية والزراعية والهندسة التقنية (مثل علوم الحاسوب)، لأن هذه التخصصات مهمة إنسانياً واقتصادياً وتجارياً. على سبيل المثال، أن يتم إنشاء جامعة بغداد في لندن للعلوم الطبية، وجامعة بيروت أو جامعة دمشق أو جامعة الجزائر في باريس للعلوم الزراعية، وجامعة الكويت أو جامعة القاهرة في واشنطن لعلوم الحاسب، إلخ، حيث يتم تدريس العلوم فيها باللغة العربية، على غرار الجامعة الأمريكية في بيروت أو في القاهرة أو كثير من الجامعات الأمريكية في دول الخليج، التي تدرس مناهجها باللغة الإنكليزية.

يمكن أن تحقق مثل هذه المشاريع فوائد كثيرة على القطاع العلمي العربي بزيادة روابط التعاون العلمي والتقني بين تلك الجامعات وجامعات البلاد التي توجد فيها من ناحية، وبينها وبين الدول العربية من ناحية أخرى، لتخريج طلبة عرب بمناهج علمية متطورة باللغة العربية. ولا أعتقد أن التكاليف الإدارية والقانونية والمالية لإنشاء مثل هكذا مؤسسات في الدول المتطورة ستكون أكثر من تكاليف شراء بعض الأندية الرياضية أو القصور الفخمة التي يتسابق إليها بعض العرب الأغنياء، بل يمكن تحويل تلك القصور الفارهة، الفارغة، إلى جامعات أو معاهد علمية عربية في الخارج لتلك الغاية من خلال إبرام عقود تعاون بين وزارات التعليم في تلك البلدان ونظيراتها في الدول العربية للحصول على تراخيص حكومية رسمية بإنشاء مثل هذه الجامعات، وترجمة مناهجها إلى اللغة العربية. وبذلك تكون هذه المؤسسات إحدى قنوات تعريب العلوم الحديثة في الخارج، ومتابعة آخر المستجدات العلمية من منبعا كإحدى قنوات التواصل المعرفي بين العرب وغيرهم من الأمم المتطورة علمياً وتقنياً. ويمكن أن تكون الدراسة برسوم رمزية جداً، لا ترهق كاهل الطلبة، ولا تجعل تلك الجامعات جامعات رأسمالية هدفها الربح والتجارة العلمية، أو أن يتم إفاد الطلبة المتفوقين للدارسة فيها على حساب الدول العربية أو الجامعات التي يتخرجون منها في البلدان العربية.

وفي أضعف الاحتمالات، كخيار متمم أو بديل لهذا الخيار هو أن تقوم الجامعات الأجنبية، التي لها فروع في الدول العربية، بتدريس مناهجها باللغة العربية بنسخ محدثة باستمرار تماشياً مع مناهج الجامعات الأم في البلدان الأصلية بحيث يتعلم الطلاب أحدث الطرق العلمية، ويكونوا على اطلاع دائم بآخر المستجدات المعرفية والتقنية، كما لو أنهم كانوا يدرسون في الجامعات الأم، التي تتبع لها الفروع الموجودة في البلاد العربية، ولكن باللغة العربية.

References

مراجع

1. Moustafa, K., *Promoting an academic culture in the Arab world*. Avicenna J Med, 2018. 8(3): p. 120-123.